عن مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ ﷺ، قَالَ:

١ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «الْعِبَادَةُ فِي الْهَرْجِ كَهِجْرَةٍ إِلَيَّ»(٢٩٨).

(٢٩٨) رواه مسلم (٢٩٤٨).

آيات

- ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٥].
- ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [هود: ١١٢، ١١٣].

الراوي

هو: مَعْقِلُ بْنُ يَسَارٍ الْمُزَنِيُّ ﷺ، أبو عليٍّ، صَحِب النبيَّ ﷺ، وروى عنه، أَسلَم قبل الحُديبية، وشَهِد بَيعة الرِّضوان، سَكَن البصرة، وابتنى بها دارًا، وولَّاه عمرُ بنُ الخطَّاب ﷺ الإمارة فيها، وهو الذي حَفَر نهر مَعقِل بالبصرة بأمر عمرَ ﷺ، فنُسِب إليه، توفِّي بالبصرة في آخر خلافة مُعَاوِيَةَ بنِ أبي سفيانَ ﷺ[1].

خلاصة

العبادةُ في زمان الفتنِ لها أجرٌ عظيم، يعدِلُ أجرَ المهاجرين في سبيل اللهِ تعالى.

(١) يراجع ترجمته في: «معرفة الصحابة» لأبي نعيم (٥/ ٢٥١١)، «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» لابن عبد البر (٣/ ١٤٣٢)، «أسد الغابة» لابن الأثير (٥/ ٢٢٤)، «الإصابة في تمييز الصحابة» لابن حجر (٦/ ١٤٦).

يبين النبيُّ ﷺ عظيمَ فضلِ العبادةِ في زمان الفتن؛ حيث ينشغل النَّاسُ بالشهوات والمَلَذَّات وتكثر المعاصي وتُسفك الدِّماء، فيخبر ﷺ أن العبادة في تلك الأوقات تُضاهي في ثوابِها ثوابَ المهاجرِ **الذي يترك أهلَه ووطنَه ومالَه في سبيل اللهِ تعالى وطاعةً للنبيِّ ﷺ**.

والعبادةُ: «**اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة**، فالصلاة والزكاة والصيام والحج وصدق الحديث وأداء الأمانة وبر الوالدين وصلة الأرحام والوفاء بالعهود والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد للكفار والمنافقين والإحسان إلى الجار واليتيم والمسكين وابن السبيل والمملوك من الآدميين والبهائم والدعاء والذكر والقراءة وأمثال ذلك من العبادة، وكذلك حب الله ورسوله وخشية الله والإنابة إليه وإخلاص الدين له والصبر لحكمه والشكر لنعمه والرضا بقضائه والتوكل عليه والرجاء لرحمته والخوف لعذابه وأمثال ذلك هي من العبادة لله»[٢٩٩].

والهَرْجُ: **كثرة الفتن وانتشار القتل**، ومنه قوله ﷺ: «يَتَقَارَبُ الزَّمَانُ، وَيَنْقُصُ العَمَلُ، وَيُلْقَى الشُّحُّ، وَيَكْثُرُ الهَرْجُ»، قَالُوا: وَمَا الهَرْجُ؟ قَالَ: «القَتْلُ القَتْلُ»[٣٠٠].

وإنما كانت العبادةُ في ذلك الزمان خاصَّةً عظيمةَ الأثر؛ لأنَّ الغالب حينئذ على النَّاس الوقوع في الفتن وعدم المبالاة بالحلال والحرام، فكان المنعزلُ عن عامَّة النَّاس مثلَ المهاجر الذي ترك قومَه على شِركِهم وكفرهم وخرج فارًّا بدينه[٣٠١].

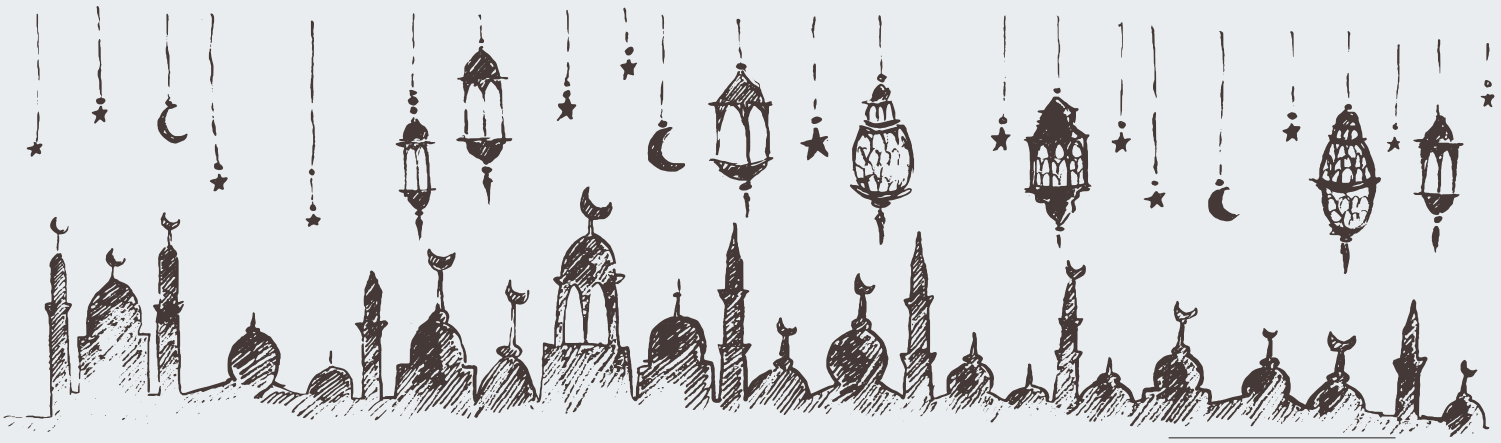

(٢٩٩) «مجموع الفتاوى» لابن تيمية (١٠/ ١٤٩).

(٣٠٠) رواه البخاريُّ (٦٠٣٧)، ومسلم (١٥٧).

(٣٠١) ينظر: «لطائف المعارف» لابن رجب (ص: ١٣٢)، «فيض القدير» للمناويِّ (٤/ ٣٧٣).

١ اشغل نفسَك بالطاعة وإلا شغلتْكَ بالمعصية.

٢ لا تغترَّ بكثرة الهالكين، ولا تيأس من قلة السَّالكين، فإنَّ أتباع كلِّ باطلٍ كثيرون.

٣ في الحديث دليلٌ على استحباب عمارة أوقات غفلة الناس بالطاعة، وأن ذلك محبوب لله عزَّ وجلَّ كما كان طائفةٌ من السلف يستحبُّون إحياء ما بين العشاءين بالصلاة، ويقولون: هي ساعة غفلة؛ ولذلك فضِّل القيام في وسَط الليل المشمول بالغفلة لأكثر الناس فيه عن الذكر[٣٠٢].

٤ العبادة في زمان الفتن ووقت الغفلة تساوي في الأجر الهجرةَ من دار الكفر إلى دار الإسلام، ولا أجرَ يرتقي على الهجرة، بل إنَّ الله تعالى قال: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ أَعۡظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ﴾ [التوبة: ٢٠].

٥ أخبر النبيُّ ﷺ بوقوع الفتن في آخر الزمان لكي يستعدَّ لها المسلمُ ويتأهب بالمبادرة إلى الطاعات والتمسك بحبل اللهِ تعالى.

٦ العبادة في وقت الغفلة أمانٌ للنَّاس، فلولا العُبَّاد في زمان الفتن لدمَّرَ اللهُ تعالى الأرضَ ومن عليها. فاحرص أن تكون صمام أمان للمسلمين.

قال الشاعر:

إذَا لَمْ أجِدْ خِلاً تَقِيًّا فَوَحْدَتي ... ألَذُّ وأشهى من غَوِيٍّ أعاشِرُهْ
وأَجلِسُ وَحْدي للعبادة آمِنًا ... أَقَرُّ لعَيْشِي من جَلِيسٍ أُحاذِرُهْ

(٣٠٢) «لطائف المعارف» لابن رجب (ص: ١٣١).